فجيعتنا فى فقد عزيز فهمى

ستظل اللوعة طويلًا على الدكتور عزيز فهمى، الذى اختطفه الموت منا وهو فى الصف الأول فى شباب مصر أو ذلك الرعيل الذى كان يرجى منهم الخير العميم -كان الفقيد فى حياته العادية إنسانًا، أشد ما يكون الإنسان فى رقة الحاشية وعفة اللسان ورجولة الأخلاق وسمو الحس. كان فى هذه الحياة التى قطعها الموت كنسيمٍ يسرى فلا يتجسد إلا شعرًا مرهفًا لعلَّه من أمتن وأصدق ما تركه شعراء الشبابِ فى مصر، ولا يتجمع فيصبح عاطفة إلا حينما يحس بالظلم أو الضيم يكاد يصيب الناس أو الوطن.

كان الفقيد قوة تكمن ولا تظهر إلا دفاعًا عن الحق والخير - كان من خير عباد الله، لأَنَّه كان من أنفعهم لعباد الله.

كان عزيز صعب المراس، قوى الشكيمة لا يلتوي ولا يلين وإنما كان ثورة عاتية لا تهدأ حينما تدخل السياسة محرابه، فإذا ما نأى بنفسه عن السياسة وبدا للناس في ثوبه العادى، بدا كطيفٍ لطيفٍ.

كان دائمًا حيث يوجد الحق ولم تكن نصرته للحق ترهبه أو تنال منه، وإنما كانت الأحداث تلهب حسه وتجلو للناس خلقه وتصقل استعداده وتبرز تفوقه.

كان لا يعرف الاعتدال، ولهذا جمعت نفسه بين رقة الحس وثورة النفس وبين حكمة التفكير والاندفاع فى كراهية الظلم.

كانت حياته عدة لمصر، فأصبحت ذكراه اليوم هى هذه العدة، ولقد ذهب إلى حيث يجد الحق المطلق ولكنه ترك والدا تتجه إليه اليوم قلوب الملايين فتشاركه

اللوعة والحزن وترجو أن تحمل عنه بعض ما نزل به من فجيعةٍ.

لقد عرف هذا الوالد الكبير النفس والقلب، جهاد الصبر فى كفاحه من أجل مصر، فما أحوجه اليوم إلى التجمل بهذا الزاد الوطنى ليواجه هذا الامتحان الشديد، بل هذا المصاب الفادح.. نعم ما أحوج عبدالسلام فهمى جمعة إلى التجلد والصبر، فإنَّ العزاء فى عزيز فهمى لأهون من أن يخفف البلوى عن نفس هذا الوالد الكبير، ولكن الإنسان الحى لا يملك للإنسان الحى غير العزاء للوالد المفجوع وغير الابتهال إلى الله أن ينزل الابن الفقيد منازل المحسنين الخيرين الأوفياء

صديقى عزيز

رأيت عزيزًا أول ما رأيته في عام 1921 فى السرادق الذى أقيم إلى جوار بيت الأمة، وكانت تسعى إليه الوفود من كل فجٍ عميقٍ لتحية «سعد» بعد عودته من الخارج. وكان فى مقدمة تلك الوفود وفد مديرية الغربية. ومن بين زعماء هذا الوفد الأستاذ الكبير عبدالسلام فهمى جمعة المحامى وقد أخذ مكانه إلى جانب «سعد» فى صدر السرادق. وفيما أنا أقدم الخطباء إلى آلاف المستمعين وكنت سكرتيرًا للجنة الاحتفال وإذا بفتى صغيرٍ فى زيِّ التلامذة القصير. يتقدَّم إلى المنبر بخطى وثيرةٍ فأسرعت إليه وألقيت فى أذنه أنَّ الخطباء معينون وأنَّ للحفلة نظامًا موضوعًا لا أستطيع الإخلال به، فأجابنى بأنَّ الزعيم سعد قد سمح له بأن يلقى قصيدته وفيما نحن نتهامس وإذا بصوت «سعد» طيَّب الله ثراه ينادينى عاليًا «سيبه يا أمين».

فصدعت بالأمر وقدمت هذا الفتى الحاضرين فاستمعوا لقصيدته التى ألقاها كأحسن ما يكون الإلقاء فأخذ بلب الجماهير وتلقَّى والده الكبير أحسن عبارات التهنئة بابنه وكثر الحديث عن نبوغه والتنبؤ له بالمستقبل العظيم.

ومرَّت الأيام وكبر عزيز فى كل شىء عن سنه. كبر فى المحاماة فأصبح المحامى المعروف، وكبر فى الجهاد والكفاح فأصبح السياسى الموفق، وكبر فى

دار النيابة فأصبح البرلمانى الممتاز، وهو قد عرف بالاستقلال فى الرأى، فكان إذا آمن بفكرة فلا سبيل إلى الوقوف دون تحقيقها. كان باحثًا قانونيًا مدققًا وخطيبًا طلق اللسان، حلو الأسلوب، حلو الحديث، ممتعًا بكل ما فى الكلمة من معنى.

ويشاء القدر الذى جمع بين قلبينا عند منبر الوطنية وهو فتى وأنا كهل أن يجمعنا فى الأقطار الحجازية منذ سبعة أشهر، فكنا متلازمين فى الكعبة وحولها وفى الصلوات والطواف والسعى وعلى عرفات. وفى المدينة المنورة عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم نلتمس شفاعة خاتم المرسلين، وكان عزيز والإيمان يتجلَّى على وجهه نورًا وفى عينيه بريقًا. ولم أكن أدرى أنَّ عزيزًا يعد العدة إلى لقاء ربه لقاء عاجلًا وسريعًا. ولا أنه ألهم أن يزور البيت العتيق لينال المغفرة، والقبر الطاهر فيحظى بالشفاعة.

وفى صبيحة الخميس أمس الأول مررت بدار البلاغ فوجدت الشفاه مطبقة والجباه مقطبة والعيون حائرة ووجدت صديقى الأستاذ محمد عبدالقادر حمزة واللوعة آخذة بكل حواسه فسألتهم عما دهاهم فأنبأنى بالمصاب فأذهلنى هوله، وما عرفت التفصيلات حتى اشتد بى الحزن وتدفقت الدموع وغادرت البلاغ حائرًا لا ألوى على شىء، وهكذا يشاء القدر الساخر أن يفجع مصر فى عزيز وهو أحوج ما تكون إليه وإلى أمثاله وهم قليل. فمن لمصر بشبابٍ متوثبٍ حر الرأى، سليم التفكير قوى الإرادة حسن التقدير والتفكير، من لمصر بشبابٍ مملوءٍ بالحيوية مشبعٍ بالعقيدة الوطنية، لا يبغى إلا خدمة وطنه والفناء فيه، مستعد للتضحية والبذل إلى الرمق الأخير، من لمصر بشبابٍ لا مطمع له يغويه ولا هو يستهويه.

ولكم وقف عزيز يعارض آراء حزبه وشيعته، ولكنَّ أحدًا لم يضق به ولا برأيٍ كان يبديه، لأنَّ الجميع عرفوا من قديمٍ فيه الإخلاص فى القصد والنزاهة فى التعبير فهو لم يكن يصدر عن رأى إلا والإيمان يحدوه والعقيدة متحكمة فيه.

ولقد سرنا فى جنازته مذهولين ومن هول المصيبة مـأخوذين. والشـعب ينعيـه ويبكيه والهتاف العالى تارة يناجيه وطورًا يستنزل من الله الصبر لأبيه.

والدموع تنسكب من العيون، والزفرات تكاد تمزق الصـدور إلى أن وصـلنا بـه إلى مقره الأخير فأودعناه دار البقاء في كنف العلى القـدير، حيـث المغفـرة والرحمـة والأجر الكبير.

وهكذا أمر والده الكبير أن يعجل بعزيز إلى مقـره الأخيـر، ولقـد أحـس بأنَّـه لم يختر ذلك إلا رغبة فى الانتهاء من تلك المراسم التى لا تغنيه واسـتعجال للخلـوة يستسلم فيها لحزنه العميق، فاللهم إنَّا نضرع إليك وأنـت نعـم المجيـب أن تنـزل على هذا الشيخ الجليل من لدنك الصبر الجميل.

وأما عزيز فقد أدَّى واجبه كأحسن ما يكون الأداء، وظفر برضاء ربه الذى أحبه فألهمه فأكمل له دينه، وأتم عليه نعمته، وهو قد لقيه بالقبول والمغفرة كمـا يلقـى الصالحين والشهداء، فإلى الجنة التى وعد المتقون.

وأما نحن أصدقاء عزيز وزملاؤه فى الهيئة الوفدية وفى الجهاد فلن ننسى عزيـزًا ما حيينا، وسيظل اسمه منقوشًا فينا. وذكره العطر يزكو بيننا، ولا شك أننا جميعًـا فى المصاب سواء، فمنا وإلينا يوجه ويتوجه العزاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.